التوحيد
وأثره في حياة المسلم

إعداد

حمد بن إبراهيم الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ/٢٠١٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعد:

فإن التوحيد الذي هو حق الله على العبيد أعظم ما صرفت إليه الهمم وصرفت نفائس الأوقات من أجله، لأن به سعادة المسلم وبجهله وتركه شقاوته، فلابد لكل عبد أن يعرف التوحيد الذي فرضه الله عليه كما أنه يجب معرفة ضده وإلا وقع المرء في الشرك وهو لا يشعر وكما قيل:

والضد يظهر حسنــه الضد وبضدهـــا تتبين الأشياء

وإن الأمة الإسلامية اليوم بحاجة كبيرة لمعرفة عقيدتها أكثر وأكثر وإنني بجهدي المقل والمتواضع أرجو أن أكون ممن يساهم في النصح للأمة كما قال المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الدين النصيحة**» فكان هذا الكتاب (**التوحيد وأثره في حياة المسلم**).

وإني أشكر كلاً من الشيخ / حمود بن غزاي الحربي، عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة بجامعة الإمام فرع القصيم على جهوده المشكورة وملاحظاته المفيدة على هذا البحث فجزاه الله خيراً، وغيره من المشايخ.

فبارك الله في الجميع وجعل أعمالنا وأعمالهم خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

حمد بن إبراهيم الحريقي

٢٦/ محرم / ١٤١٤ هـ

وتمت مراجعته مرة ثانية في العاشر من شهر صفر لعام ١٤٤١ هـ

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠

❊❊❊

الباب الأول

في معنى التوحيد لغة وشرعاً وأنواعه وبيان أنه أول واجب على المكلفين.

ويشتمل على ثلاثة فصول

- الفصل الأول: في تعريف التوحيد لغة وشرعاً.
- الفصل الثاني: في أنواع التوحيد.
- الفصل الثالث: في بيان أهمية التوحيد وبيان أنه أول واجب على المكلفين.

الفصل الأول

تعريف التوحيد لغة وشرعاً

التوحيد لغة:

* **هو الإفراد ولا يكون الشيء مفرداً إلا بأمرين:**

١ - الإثبات التام.

٢ - النفي التام.

* **وقال الأصبهاني:** التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيداً.. إلى أن قال: ولهذا الفعل معنيان:

- **أحدهما:** تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم كسرت الإناء وغلقت الأبواب وفتحتها.

- **والوجه الثاني:** وقوعه مرة واحدة كقولهم: غديت فلاناً وعشيته وكلمته[١].

* **وقال ابن منظور:** والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد.. ثم قال: فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير[٢].

* **وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** التوحيد مصدر وحده يوحده توحيداً جعله واحداً أي فرداً ووحده قال: إنه واحد أحد[٣].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ج١ ص٣٠٥.

(٢) لسان العرب ج٣ ص٤٥٠ مادة وحد.

(٣) حاشية كتاب التوحيد ص١١.

* **وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** التوحيد مصدر وحد يوحد توحيداً يعني وحد الله أي أعتقده وأحداً لا شريك له في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته ولا في ألوهيته وعبادته فهو واحد جَلَّ وَعَلَا وإن لم يوحده الناس[(١)].

* **وقال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له[(٢)*].

تعريف التوحيد شرعاً:

* **هو إفراد الله بحقوقه ولله ثلاثة حقوق:**

١ - حقوق ملك.

٢ - حقوق عباده.

٣ - حقوق أسماء وصفات[(٣)].

* **وقال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال بعض العلماء:** التوحيد: نفي التشبيه عن الواحد، وقيل: التوحيد نفي التشبيه عن ذات الموحد وصفاته، وقيل: التوحيد: العلم بالموحد واحداً لا نظير له فإذا أثبت هذا فكل من لم

---

(١) مجموع فتاوى ج١ ص ٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ج٢ ص٧

(*) إلى غير ذلك من التعاريف للعلماء - رحمهم الله تعالى - وقد ذكر المدلول اللغوي لكلمة توحيد الدكتور محمد خليل هراس في كتابه دعوة التوحيد ص٦ يطول المقام بذكره. وأيضا ذكر تعريف التوحيد لغة الشيخ عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية ص٩.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ العثيمين ج١ ص١٥.

يعرف الله هكذا فإنه غير موحد له[١].

* **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو عبادة الله وحده لا شريك له مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه[٢].

* **وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة[٣].

* **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة وإثبات إتصافه بما وصف به نفسه ووصف به رسوله وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات[٤].

* **وقال الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتوحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان وصدق وعن عمل لا مجرد كلام ومع اعتقاده بأن عبادة غيره باطلة وأن عباد غيره مشركون ومع البراءة منهم[٥].

* **وقال الشيخ عبد الله الغنيمان – حفظه الله –**: هو إفراده بالعبادة التي تتضمن غاية الحب ومنتهاه مع غاية الذل وأقصاه والانقياد لأمره والتسليم له[٦].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ج١ ص٣٠٦.

(٢) در تعارض العقل والنقل ج١ ص٣٠٦.

(٣) مجموعة الرسائل النجدية ج٤ ص٤ والدرر السنية ج١ ص٤٨.

(٤) أصول الدين الإسلامي ص٧.

(٥) مجموع فتاوى ج٢ ص ٢٠.

(٦) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ج١ ص ٣٨.

(*) إلى غير ذلك من التعاريف وانظر المعاني الاصطلاحية لكلمة توحيد في كتاب دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص٨.

الفصل الثاني

أنواع التوحيد

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سورتي الإخلاص[1] تضمنتا نوعي التوحيد فقال: فأما ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين الله بالقصد والإرادة وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي والعملي[2].

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد ونوع في الإرادة والقصد ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي؛ لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع[3].

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية:

فاسمع إذا توحيد رسل الله ثـ ... م اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان
توحيدهم نوعان قولي وفعـ ....لي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـ ... ضًا في كتاب الله موجودان

---

(١) وهما ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

(٢) مجموع فتاوى ج١٠ ص٥٤ وأيضا ج١ ص٣٦٧ والتدمرية ص٥.

(٣) مدارج السالكين ج١ ص٣٣.

إلى أن قال:

هـذا وثـاني نوعـي التوحيـد تـو ... حيد العبادة منك للرحمن

أن لا تكـون لغيـره عبـداً ولا ... تعبد بغير شريعة الإيمان[1]

* وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام:

- توحيد الربوبية.
- وتوحيد الإلهية.
- وتوحيد الصفات[2].

* وقال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوحيد نوعان:

- الأول: التوحيد العملي الخبري الاعتقادي.
- والثاني: التوحيد الطلبي القصدي الإرادي[3].

❋❋❋

(١) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى ج٢ ص ٢٠٩، ٢٥٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية ج١ ص ١٢٨ وانظر هذا التقسيم فيما يلي:

أ - الحجة في بيان المحجة ج١ ص ٨٥ حاشية رقم١.

ب - العقيدة الطحاوية "الشرح" ج١ ص٢٤.

ج - حاشيه كتاب التوحيد ص١٠.

د - عقيد المسلمين ج١ ص٣٢٦.

هـ - سؤال وجواب في أهم المهمات ص١٣.

و - مجموع فتاوى ابن باز ج١ ص٣٤.

ز - مجموع فتاوى ابن عثيمين ج٢ ص٧.

(٣) معارج القبول ج١ ص ٤٦.

الفصل الثالث

أهمية التوحيد وبيان أنه أول واجب على المكلف

إن أهمية التوحيد تكمن في أن الله تعالى ذكره في كتابه ودعى إليه في أكثر آيات القرآن. بل إن لم تكن كلها كما ذكر ذلك العلماء حيث قال الشيخ أحمد بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة فهو جزاء أهل توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل لهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم أ.هـ[1].

ومما يدل على أهمية التوحيد أن جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أرسلوا به كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجميع الرسل دعوا إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2] فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم فقال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3] وكذلك قال هود

(١) شرح قصيدة ابن القيم ج٢ ص٢٦٠ وانظر (شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩).

(٢) [سورة الفاتحة، الآية: ٥].

(٣) [سورة الأعراف، الآية: ٥٩].

وصالح وشعيب وإبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1][2].

* **وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية التوحيد بقوله:** وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله ولا يرجو سواه ولا يتوكل إلا عليه ..

إلى أن قال: وقد كان النبي، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هو تحقيق قولنا لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والاجلال والإكرام والرجاء والخوف[3].

* **وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن قال: ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك..

فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وأخر ما يخرج به من الدنيا فهو أول واجب واخر واجب[4].

* **وقال الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وأعظم ما جاء به، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو وإخوانه من الرسل هو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله وأنه لا شبيه له ولا نظير فهذا هو

(١) [سورة النحل، الآية: ٣٦]

(٢) مدارج السالكين ج١ ص ١١٤.

(٣) الفتاوى ج١ ص١٣٥.

(٤) بتصرف من كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ج١ ص٢١- ٢٣.

مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم من أولهم إلى آخرهم[١].

* **وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم رحمك الله أن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل التوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢] وله خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٣] أي يوحدون.

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا عرفت هذا فأهم ما عليك معرفة التوحيد قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة[٤].

ومن أهمية التوحيد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يشيد بالتوحيد تعظيماً لشأنه واهتماماً به حتى وهو في مرض الموت حيث قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٥] والمرء مهما بلغ من العلم إلا أنه محتاج إلى التوحيد ومعرفته.

ومما يدلنا على أهمية التوحيد وعظمه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا إليه عشر سنين وذلك قبل أن تفرض عليه الفرائض تعظيماً لشأنه، ولأن الله لا يقبل الأعمال إلا به، والمرء محتاج إلى التوحيد من نشأته إلى مماته، لأن حياته مبنية على التوحيد لأنه أعظم الواجبات وأكدها، وما بعث الله رسولاً ولا نبياً إلا ويدعو قومه إلى التوحيد، وقد ذكر الله في كتابه العزيز عن كل الرسل أنهم

(١) التنبيهات السنية ص٣٣.
(٢) [سورة النحل، الآية: ٣٦].
(٣) [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].
(٤) الدرر السنية ج١ ص ١٠٧.
(٥) أخرجه البخاري ك الصلاة باب ٥٥ ج١ ص ٥٣٢ ح رقم٤٣٥ "الفتح"، وأخرجه مسلم ك المساجد باب٣ ج٥ ص١٦ ح رقم ٥٢٩ "نوري".

يفتتحون دعوتهم لقومهم بقولهم: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[2].

* **وقال الشيخ صالح البليهي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ورد على ما يدل على أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل ثلاثمائة وبضعة عشر وكلهم دعوا إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة[3].

* **وسئل الشيخ محمد العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن أول واجب على الخلق فقال:** أول واجب على العباد أن يوحدوا الله عَزَّوَجَلَّ وأن يشهدوا لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، بالرسالة وبتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ والشهادة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، بالرسالة يتحقق الإخلاص والمتابعة اللذان هما شرط لقبول كل عبادة[4]*.

❋❋❋

(١) [سورة، الآية:]

(٢) [سورة النحل، الآية: ٣٦]

(٣) عقيدة المسلمين ج١ ص٢٤٨.

(٤) مجموع فتاوى ج٢ ص٢٢.

(*) ذكر محقق كتاب الحجة للأصبهاني الخلاف فيها هو أول واجب على المكلف وقال في الأخر ويبدو أن المؤلف يذهب إلى الرأي الأول وهو أن أول واجب على المكلف معرفة الله أ. هـ انظر ج١ ص١٢٢. وانظر في أهمية التوحيد كتاب أول واجب على المكلف للشيخ عبد الله الغنيمان فإنه جيد وحسن، وللشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد كلام نفيس وجيد حول أهمية التوحيد وذكر القرآن للتوحيد، فانظر كتاب حكم الانتماء ص٥٧- ٥٩ ويطول المقام بنا لو ذكرنا ما ذكرناه هنا.

الباب الثاني

في نصوص الكتاب والسنة
وأثار السلف الدالة على أهمية التوحيد.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: نصوص القرآن في تعظيم التوحيد وبيان مكانته.
- الفصل الثاني: نصوص السنة في تعظيم التوحيد وبيان مكانته.
- الفصل الثالث: الآثار الواردة عن السلف في تعظيمهم لشأن التوحيد.

الفصل الأول

نصوص القرآن في تعظيم التوحيد وبيان مكانته

* قال الشيخ: أحمد بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لقصيدة ابن القيم[1]: وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه .. الخ[2].

(والتوحيد هو فاتحة القرآن العظيم وهو خاتمته فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[3]. وهو في خاتمة القرآن العظيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[4][5].

وأذكر باختصار بعض السور والآيات الدالة على أهمية التوحيد:

١- قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[6]. وكل سورة الفاتحة بآياتها تدل على التوحيد.

٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾[7].

---

(١) ج٢ ص٢٦٠.

(٢) وقد سبق كلامه من قبل فانظر ص١٥.

(٣) [سورة الفاتحة، الآية: ١].

(٤) [سورة الناس، الآية: ١].

(٥) انظر هذا الكلام مطولًا للشيخ بكر أبو زيد في حكم الانتماء ص٥٨.

(٦) [سورة الفاتحة، الآية: ٥].

(٧) [سورة الكهف، الآية: ١١٠].

٣ - وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[١].

٤ - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ...﴾[٢]

٥ - وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ...﴾[٣].

٦ - وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾[٤].

٧- وقال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٥].

٨ - وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[٦].

٩ - وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾[٧].

١٠ - وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ...﴾[٨].

١١ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾[٩].

---

(١) [سورة آل عمران، الآية: ٦٤]

(٢) [سورة النحل، الآية: ٣٦]

(٣) [سورة النساء، الآية: ٣٦]

(٤) [سورة الإسراء، الآية: ٢٣]

(٥) [سورة فصلت، الآية: ١٤]

(٦) [سورة الكافرون، الآيتان ١، ٢].

(٧) [سورة التوبة، الآية: ٣١]

(٨) [سورة البيئة، الآية: ٥]

(٩) [سورة النساء، الآية: ٤٨]

١٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[١].

والرسل كلهم بعثوا بالتوحيد لله جَلَّوَعَلَا والقران مليء بالشواهد من ذلك وهو واضح وجلي[٢]

وأختم هذ الفصل بكلام للعلامة محمد صديق حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

فاعلم أن فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مسلم في كل صلاة مرات ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلم له فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعًا.. ثم ذكر هذه المواضع[٣].

❊❊❊

(١) [سورة الإخلاص]

(٢) انظر سورة الأعراف وهود والمائدة والمؤمنون وغيرها من السور واكتفيت بما ذكرت خشية الإطالة.

(٣) الدين الخالص ج١ ص٩ وذكر أيضا أدلة التوحيد من القرآن وعلق عليها فانظر ص١٩ وما بعدها، وأيضا ابن القيم في الصواعق المرسلة ج٢ ص٤٦٠.

الفصل الثاني

نصوص السنة في تعظيم التوحيد وبيان مكانته

لقد رفع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مكانة التوحيد وأهتم بمقامه ودليل ذلك ذكره لأمر التوحيد وهو في مرض موته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حيث قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

ومما يدل من السنة على أهمية التوحيد أن المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعا إليه عشر سنين وذلك في مكة بين الكفار وكان يقول لهم: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢).

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف»(٣).

وأما الأحاديث الدالة على أهمية التوحيد فكثيرة نذكر منها ما يلي:

١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه أنظر ص١٧ رقم٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤ ص٦٣ و ج٥ ص٣٧١.

(٣) الفتاوى ج١ ص١٣٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٥٠، ٩٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ج٧ ص١٥٠ وصححه الألباني في الإرواء ج٥ ص١٠٩ وفي صحيح الجامع ح رقم٢٨٣١.

٢ - ومما يدل على أهمية التوحيد أن المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يستفتح يومه بالتوحيد حيث يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الكافرون والإخلاص، ويختم يومه أيضاً بالتوحيد حيث كان يقرأ في الشفع والوتر بسورتي الكافرون والإخلاص[١].

٣ - وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٢].

٤ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معاذاً نحو أهل اليمن قال: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم ..**» الحديث[٣].

٥- وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه قال: الله ورسوله أعلم قال: أن لا يعذبهم**»[٤].

---

(١) وقد ورد ذلك بأحاديث صحيحة فانظر صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٥ رقم ٧٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في ك الأنبياء باب٤٧ ح رقم ٣٤٣٥ ج٦ ص٤٧٤ (الفتح) وأخرجه مسلم في ك الإيمان باب٩ ج١ ص٣١٠ (نووي).

(٣) أخرجه البخاري في ك التوحيد باب١ ج١٣ ص٣٤٧ ح رقم ٧٣٧٢ (الفتح) وأخرجه مسلم بنحوه في ك الإيمان باب٧ ج١ ص٢٧٢ ح رقم ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في ك التوحيد باب١ ح رقم ٧٣٧٣ ج١٣ ص٣٤٧ ومسلم في ك الإيمان باب١٠ ح رقم٥٠ ج١ ص ٣١٩.

٦ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا قعوداً حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو هريرة فقلت: نعم يا رسول الله. قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال: «يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال: اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيمًا بها قلبه فبشره بالجنة» فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت: هاتان نعلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثني بها من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي[1] فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مالك يا أبا هريرة؟» قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لإستي قال: «ارجع» فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) لإستي: قال النووي في شرح الحديث اسم من أسماء الدبر.

«يا عمر ما حملك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة قال: «نعم». قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فخلهم»[1].

٧ - وفي حديث وفد عبد القيس لما أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال لهم رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة..»** الحديث[2].

٨- وأيضًا حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث سأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن الإسلام قال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الإسلام أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة»** الحديث[3].

٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: **«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»**[4].

❋❋❋

(١) أخرجه مسلم في ك الإيمان باب١٠ رقم ٥٢ ج١ ص٣٢٠ (نووي).
(٢) أخرجه البخاري في ك الإيمان باب٤٠ ح رقم ٥٣ ج ١ ص١٢٩.
(٣) أخرجه البخاري في ك الإيمان باب٣٧ ح رقم ٥٠ ج١ ص١١٤.
(٤) أخرجه البخاري في ك الإيمان باب٣٣ ح رقم٤٤ ج ١ ص١٠٣.

الفصل الثالث

الآثار عن السلف في تعظيم التوحيد

لقد سار السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على ما سار عليه قدوتهم رسول الله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث ساروا في البلاد شرقاً وغرباً ليبلغوا دين الله ويعلموا الناس توحيد الله جَلَّ وَعَلَا واهتموا بشأنه وبيانه أعظم اهتمام ورفعوا راية التوحيد خفاقة في كل مكان ولله الحمد والمنة.

قال ربعي بن عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتينا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فأي نشر التوحيد الله بعد هذا؟

ولهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **آثار في ذلك نذكر منها ما يلي:**

١- عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «من سره أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلى قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾»[1][2].

٢ - وقال أبو العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتم الإسلام فلا ترغبوا عنه يميناً ولا شمالاً وعليكم بالصراط المستقيم، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء[3].

---

(١) أخرجه الترمذي ج٥ ص٢٤٦ ح رقم ٣٠٧٠ وقال عنه الترمذي حديث حسن غريب.

(٢) (سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٣).

(٣) الإبانة لابن بطه ج١ ص٢٩٩.

٣ - وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[١]. قال لزم السنة[٢].

٤ - وعن سلام بن مسكين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كان قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ...﴾[٣]. قال: إنكم قد قلتم ربنا الله، فاستقيموا على أمر الله وطاعته وسنة نبيكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها، ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها، فإن أهل المروق من الإسلام منقطع بهم يوم القيامة، ثم إياكم وتصرف الأخلاق، واجعلوا الوجه واحداً والدعوة واحدة، فإنه بلغنا أنه من كان ذا وجهين وذا لسانين كان له يوم القيامة لسانان من نار[٤].

٥ - وعن عثمان بن حاضر الأزدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال دخلت على ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ فقلت: أوصني فقال عليك بالاستقامة اتبع ولا تبتدع[٥].

٦ - وعن عبد الله قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٦].

٧ - وعن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «الاعتصام بالسنة نجاة»[٧].

---

(١) [سورة طه، الآية: ٨٢]

(٢) الإبانة لابن بطه ج١ ص٣١٤.

(٣) [سورة فصلت، الآية: ٢٠]

(٤) الإبانة لابن بطه ج١ ص٣١٨.

(٥) الإبانة لابن بطه ج١ ص٣١٩.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١ ص٥٥

(٧) المصدر السابق ج١ ص٥٦.

٨ - وعن أبي حيان البصري قال سمعت الحسن يقول: «لا يصح القول إلا بعمل ولا يصح قول وعمل إلا بنية ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة»[١].

٩ - وعن الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتابعون بإحسان؛ لزوم الجماعة، وإتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[٢].

١٠ - وعن الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال كان من مضى من علمائنا يقول: «الاعتصام بالسنة نجاة»[٣].

١١ - وعن ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال «بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[٤].

١٢ - وعن أبي إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال سألت الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥] فقال: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»[٦].

١٣ - وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا

(١) المصدر السابق ج١ ص٥٧.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١ ص٦٤.
(٣) المصدر السابق ج١ ص٩٤.
(٤) المصدر السابق ج١ ص٩٤.
(٥) قال المحقق أحمد الحمدان لم يذكر عن أي شيء سأله ولكن السياق يوضح أنه سأله عن طريق النجاة.
(٦) المصدر السابق ج١ ص١٥٤.

بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»[1]

١٤ - وقال أبو حاتم بن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طاعة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي الانقياد لسنته بترك الكيفية والكمية فيها، مع رفض قول كل من قال شيئاً في دين الله جَلَّ وَعَلَا بخلاف سنته دون الاحتلال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة»[2]

ثم سار من بعد الصحابة والتابعين غيرهم من الأئمة من أهل العلم وغيرهم ممن تحملوا تبليغ التوحيد ونشره بين الأمصار وفي كل الاعصار وبرزت جهودهم في العناية بالتوحيد من جانبين:

- الأول: المناظرة لأصحاب الفرق الضالة وإفحامها وكشف حقيقتها.
- الثاني: تأليف الكتب في بيان العقيدة الصحيحة المعتمدة على الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح[3].

وممن ناظر من العلماء الإمام أحمد وغيره، وقصته معروفة مع المعتزلة.

وممن ألف من العلماء كثير، منهم الإمام أحمد ألف كتاب السنة والرد على الجهمية والزنادقة، وألف ابن أبي عاصم كتاب السنة، وأيضا الإمام الخلال والطبراني، وكتاب الشريعة للآجري والإبانة لابن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم اللالكائي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني عليهم رحمة الله جميعاً.

(١) أخرجه البخاري في ك الاعتصام باب٢ ح رقم ٧٢٨٢ ج١٣ ص٢٥٠.
(٢) صحيح ابن حبان ص١٥٣.
(٣) انظر التوحيد لابن خزيمة ج١ ص١٣.

وبعد هؤلاء كلهم برز شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -عليهما رحمة الله - في الدعوة إلى التوحيد وبيان عقيدة السلف.

وبعد هؤلاء بزمن أتى أئمة الدعوة النجدية وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده فرحمهم الله رحمة واسعة وأدخلهم الجنة بغير حساب وجمعنا بهم في مستقر رحمته إنه سميع قريب مجيب.

❊❊❊

الباب الثالث

في معنى العبودية وشروطها وأقسامها.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: معنى العبادة لغة وشرعاً.
- الفصل الثاني: في شروطها من الكتاب والسنة.
- الفصل الثالث: في أقسام العبادات.

الفصل الأول

معنى العبادة لغة وشرعاً

العبادة لغة:

هي الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء[١].

وأيضـًا: هي الانقياد والخضوع[٢].

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعبادة أصل معناها الذل يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام[٣].
* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد أي مذلل والتعبد التذلل والخضوع[٤].
* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة في اللغة من الذلة يقال طريق معبد أي مذلل[٥].
* وقال العلامة محمد صديق حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله متذلل المشيئته منقاداً لما قدره عليه[٦].
* وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: هي الذل والخضوع[٧].

---

(١) لسان العرب ج٣ ص٢٧٣ مادة عبد وأيضا ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ج٢ ص٢٣٤.
(٢) المصباح المنير للفيومي ص٣٨٩ مادة عبدت.
(٣) الفتاوى ج١٠ ص ١٥٣.
(٤) مدارج السالكين ج١ ص٨٥.
(٥) تيسير العزيز الحميد ص٤٧.
(٦) الدين الخالص ج١ ص٤٧.
(٧) شرح كتاب التوحيد ج١ ص٤٥.

تعريف العبادة شرعاً:

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.. ثم قال: وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1][2].

* وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[3].

* وقيل هي: كمال الحب مع كمال الخضوع، لأن الحب الكامل مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذل لله الحب والخضوع لمحبوبه، فطاعة العبد لربه تكون بحسب محبته وذله له[4].

* وقال حافظ أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده[5].

* وقال أيضاً في معارج القبول:

ثـم العبـادة هي اسـم جامع لكل ما يرضي الإله السامع

وذكر تعريف العبادة كما ذكره شيخ الإسلام[6].

* وقال أحمد بن عيسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما العبادة في اصطلاح العلماء فقد عرفها

(١) (سورة الذاريات، الآية: ٥٦)
(٢) الفتاوى ج١٠ ص١٤٩.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٧.
(٤) شرح كتاب التوحيد للغنيمان ج١ ص٤٦.
(٥) أعلام السنة المنشورة ص١٢.
(٦) ج٢ ص٤٣٧.

طائفة بقولهم: العبادة ما أمر به الشارع من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع[١].

* **وقال الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة شرعاً ما أمر به من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي من أفعال العباد وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته[٢].

* **وقال الشيخ محمد العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العبادة لها مفهوم عام ومفهوم خاص فالمفهوم العام هي التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه.

والمفهوم الخاص - يعني تفصيلها - قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف والخشية والتوكل والصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام[٣].

وذكر الشيخ عبد الله الغنيمان عن صاحب فرقان الفرقان في تعريف العبادة: الإتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً باعتقاد ربوبية المخضوع له وقالباً مع ذلك الاعتقاد فإن انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتي به من الخضوع الظاهري من العبادة شرعاً في كثير ولا قليل مهما كان المأتي به ولو سجوداً[٤][٥].

---

(١) انظر شرحه لقصيدة ابن القيم ج٢ ص ٢٥٩.

(٢) رسالة مهمة للإمام عبد العزيز قدم لها سماحة الشيخ ابن باز ص٢٦.

(٣) مجموع فتاوى ج٢ ص٢٥.

(٤) أول واجب على المكلف ص٢٩.

(٥) تعريف شيخ الإسلام للعبادة ذكره أكثر العلماء فانظر حاشية كتاب التوحيد ص١٢ ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج١ ص٤٩٩. وشرح كتاب التوحيد للغنيمان ج١ ص٤٥ والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ الدوسري ص ١٦ وغيرها.

الفصل الثاني

شروط العبادة من الكتاب والسنة

أكثر العلماء ذكروا أن للعبادة شرطين هما: الإخلاص لله والمتابعة للرسول، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعضهم زادها شرطًا ثالثًا وهو الصدق كما سيمر معنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1]، وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه. وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2][3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلا يكون العبد محققاً ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلا بأصلين عظيمين:

- أحدهما: متابعة الرسول، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- والثاني: الإخلاص للمعبود فهذا تحقيق في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[4].

---

(١) [سورة الكهف، الآية: ١١٠]

(٢) [سورة البقرة، الآية: ١١٢]

(٣) العبودية ص١٢٧.

(٤) التفسير القيم ص٧٣ ثم قال بعد ذلك: والناس منقسمون بحسب هذين الأصليين أيضا إلى أربعة أقسام أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة والثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر الرابع: من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله ثم ذكر أمثله لكل نوع.

وذكر الشيخ حافظ أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شروط العبادة وقال: إنها ثلاثة وله كلام رائع في هذا ولكن أختصره لطوله.

قال: وللعبادة ركنان لاقوام لهما إلا بها، وهما: الإخلاص والصدق وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[2].

وبعد ذكره للآيات ذكر الأحاديث ومنها حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنما الأعمال بالنيات ...» الحديث[3].

ثم ذكر الشرط الثاني: وهو الصدق فقال: وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه والاستعداد للقاء الله وترك العجز وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله تعالى، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[4]. وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[5].

(١) [سورة الليل، الآية: ١٧ - ٢١]

(٢) [سورة الشورى، الآية: ٢٠]

(٣) أخرجه البخاري في ك بدء الوحي باب١ ج١ ص٩ حديث رقم١.

(٤) [سورة التوبة، الآية: ١١٩]

(٥) [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣]

ثم قال: وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ ثم اعلم أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيعبد الله بوفق ما شرع وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** وفي رواية لمسلم **«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[(١)].

فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها فالعزيمة الصادقة شرط في صدرها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها[(٢)].

وقال أيضا رَحِمَهُٱللَّهُ في كتاب أعلام السنة المنشورة: شروط العبادة ثلاثة الأول صدق العزيمة وهو شرط في وجودها.

والثاني إخلاص النية، والثالث: موافقة الشرع الذي أمر أن لا يدان إلا به وهما شرطان في قبولها[(٣)].

وذكر الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ أن للعبادة شرطين الإخلاص والمتابعة وذكر الأدلة على ذلك كما مرت معنا[(٤)(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في الصلح باب ٥ ع رقم ٢٦٩٧ ج٥ ص٣٠١، ومسلم في ك الأقضية باب ٨ ح رقم ١٧١٨ ح١٢ ص٢٣.

(٢) معارج القبول ج٢ ص٤٣٩- ٤٤٢ بتصرف.

(٣) ص١٣ ثم بعد ذلك ذكر معاني صدق العزيمة وإخلاص النية والشرع الذي أمر الله أن لا يدان إلا به بنفس الصفحة.

(٤) مجموع فتاوى ج٢ ص٢٨.

(٥) ذكر الأستاذ / جمال بن أحمد بن بشير بادي في كتابه وجوب لزوم الجماعة عن أدلة شروط العبادة وذكر الأدلة من القرآن والسنة وذكر أيضا أقوال السلف في ذلك فليراجع لطوله.

الفصل الثالث

في أقسام العبادات

العبادات على كثرتها وانتشارها ترجع إلى أربعة أنواع وهي:

١ - عبادات قلبية مناطها القلب.

٢ - عبادات قولية تتعلق باللسان.

٣ - عبادات عملية تعمل بالجوارح.

٤ - عبادات مالية تتعلق بالأموال[١].

العبادات القلبية:

وهي التي ترجع إلى عمل القلب وحده وهي أهم أنواع العبادات فمنها الحب قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ...﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو مشرك ويجب التفريق بين الحب في الله والحب مع الله[٣].

وقال أيضاً: ولهذا كان أهل التوحيد والإخلاص أكمل حباً لله من المشركين الذين يحبون غيره الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه[٤].

---

(١) دعوة التوحيد ص٤٠.

(٢) [سورة البقرة، الآية: ١٦٥].

(٣) الفتاوى ج١٥ ص٤٩.

(٤) الفتاوى ج١٧ ص١٤٤.

وقال أيضًا: والمحبة جنس تحته أنواع كثيرة فكل عابد محب لمعبوده فالمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1] و وفيه قولان:

- **أحدهما:** يحبونهم كحب المؤمنين لله.
- **والثاني:** يحبونهم كما يحبون الله لأنه قد قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. فلم يمكن أن يقال إن المشركين يعبدون آلهتهم كما يعبد الموحدون الله بل كما يحبون – هم – الله فإنهم يعدلون آلهتهم برب العالمين[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم)[3].

ولهذا يظهر أن حب غير الله لا ينافي التوحيد بل قد يكون من كمال التوحيد فإن من تمام حب العبد لله أن يحب في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله ويحب ما يرضاه من الأشخاص والأخلاق والأعمال ويبغض ما يبغضه الله كذلك[4].

العبادات القولية:

والمقصود بها كما مر أنها العبادات التي تتعلق باللسان وهي كثيرة منها:

(١) [سورة البقرة، الآية: ١٦٥].
(٢) الفتاوى ج٨ ص٣٥٧.
(٣) التفسير القيم ص١٤٠.
(٤) دعوة التوحيد ص٤١.

الذكر: وحقيقته حضور المذكور في قلب الذاكر على أي نحو من الأنحاء الثابتة له ثم التعبير عن ذلك باللسان وضده الغفلة والنسيان.

والذكر: هو أفضل العبادات بل هو الغرض المقصود من العبادات كلها فإنها ما شرعت إلا لتعين على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1].

وقد وعد الله عَزَّوَجَلَّ بذكر من يذكره كما توعد بنسيان من ينساه. كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[4]. فقد أرشدت الآية إلى وجوب أن يكون الذكر مخافة مع التذلل والخشية فلا يرفع صوته به ولا يذكر الله بأطراف لسانه مع قسوة القلب وغفلته[5].

وفي الحديث عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى**»، فقال معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله[6].

---

(١) [سورة طه، الآية: ١٤]

(٢) [سورة البقرة، الآية: ١٥٢]

(٣) [سورة الحشر، الآية: ١٩]

(٤) (سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥).

(٥) انظر دعوة التوحيد ص٤٨ وما بعدها.

(٦) أخرجه الترمذي في ك الدعوات باب ٦ ج٥ ص٤٢٨ ح رقم ٣٣٧٧.

العبادات البدنية:

وهي العبادات التي تؤدي بالجوارح وهي كثيرة فمنها الصلاة والصيام والحج والعمرة وغيرها.

ونأخذ الصلاة فقد حث عليها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في الصلاة وفي غيرها. والكلام يطول بنا خاصة في هذا القسم أقصد العبادات البدنية وبالجملة فكل عبادة نيطت بالبدن أو بعضو منه فهي داخلة في هذا النوع من العبادات.

العبادات المالية:

وهي التي تعبد الله عباده بها في أموالهم من الصدقات والزكوات والذبائح وغيرها: فمنها الزكاة وهي أهم العبادات المالية لمن وجبت عليه وهي ثالث أركان الإسلام كما هو معلوم.

وقد ذكر الله تعالى الوعيد الشديد على مانعيها كما قال: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾[3].

---

(١) [سورة البقرة، الآية: ٤٣]

(٢) [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨]

(٣) [سورة آل عمران، الآية: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾...﴾[1].

وأيضًا الذبح هو من العبادات المالية سواء الأضحية أو الهدي أو النذر أو الكفارة أو العقيقة فكلها كذلك كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[2].

❊❊❊

(١) [سورة التوبة، الآية: ٣٤].

(٢) [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢-١٦٣].

الباب الرابع

في علاقة التوحيد بالعبادة وأثره عليها.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: دور الإخلاص في تصحيح العبادة وقبولها عند الله.**
- **الفصل الثاني: آثار التوحيد على الأعمال التكليفية:**

أ. الأعمال القلبية.

ب - أعمال الجوارح.

- **الفصل الثالث: من المؤثرات على الأعمال التكليفية:**

أ - البدعة.

ب - الهوى.

ج - التقليد الأعمى.

الفصل الأول

دور الاخلاص في تصحيح العبادة وقبولها عند الله

إن الإيمان مسئولية كل إنسان مكلف وقضية الإيمان هي القضية الكبرى في حياة الإنسان وهي القضية التي تحدد مصيره وجزاءه ومن هذا كله نخرج بحقيقة واضحة وهي أن الإيمان برحمة الله وعدله وفضله ميسر للناس كلهم.

فالإيمان إذن قضية إنسانية عامة وهي مسئولية كل إنسان هيأ الله أسباب بلوغها لكل إنسان مكلف في الحياة الدنيا وهو محاسب عن ذلك يوم القيامة بين يدي الله ويغفر الله لمن يشاء من عباده ما شاء من ذنوبهم التي يموتون عليها إلا الشرك فمن مات عليه فلا يغفر الله له ذلك أبداً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[1][2].

ولقد جعل الله سبحانه المحاسبة على النية من أمره هو يحاسب عليها لأنه هو وحده يعلمها، ولا مجال للناس أن تشق صدور الخلق لتعرف ما تطويه الصدور ولكن هذا لا يتعارض مع واجب مطالبة الإنسان أن يكون لنيته أمارات تصدقها فيها يتعلق بحقوق العباد وبأداء الواجبات وبالخضوع لشرع الله[3].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل.. قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ

(١) [سورة النساء، الآية: ٤٨]

(٢) التوحيد وواقعنا المعاصر ص٨٣- ٨٤.

(٣) التوحيد وواقعنا المعاصر ص٢٣٧.

﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] .

والسورة كلها عامتها في هذا المعنى كقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2][3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإخلاص: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4]. وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[5].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[6][7].

وإذا نظرنا إلى من لم يحقق الإخلاص في أعماله نجد أن تلك الأعمال لا تقبل عند الله بل تكون وبالاً عليه كما بين ذلك المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ففي الحديث عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**جاء رجل إلى النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) [سورة الزمر، الآية: ١-٣]
(٢) [سورة الزمر، الآية: ١١-١٢]
(٣) الفتاوي ج١٠ ص٤٩.
(٤) [سورة البيئة، الآية: ٥]
(٥) [سورة الملك، الآية: ٢]
(٦) [سورة الكهف، الآية: ١١٠]
(٧) مدارج السالكين ج٢ ص٩٣.

فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

وفي الحديث القدسي «أن أول الناس يقضي يوم القيامة عليهم وهم رجل استشهد ورجل تعلم القرآن والأخير رجل منفق وكلهم يقال لكل واحد منهم: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو كذا فقد قيل ثم يؤمر به فيسحب على وجهه ثم يلقى في النار»[2].

وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى: «أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء».

وفي أثر آخر يقول له يوم القيامة اذهب فخذ أجرك ممن عملت له لا أجر لك عندنا.

وقال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منها.

وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

والإخلاص كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تصفية العمل من كل الشوائب[3]. والنية هي الخطوة الأولى في الممارسة الإرادية وهي ركن الشعائر التعبدية وهي محور صلاح عمل الإنسان كله ومنطلق السعي المقبول عند الله وقاعدة للأجر والثواب.

(١) أخرجه البخاري في ك الجهاد باب ١٥ ح رقم ٢٨١٠ ج٦ ص٢٧.
(٢) أخرجه مسلم في ك الأمارة باب ٤٣ ح رقم ١٩٠٥ ج١٣ ص٧٥.
(٣) انظر مدارج السالكين ج٢ ص٩٤ وما بعدها بتصرف.

والنية النابعة من التوحيد هي التي توزع الري على طاقات الفطرة حتى تحفظ فيها الموازنة الأمينة العادلة، وبالتوحيد وبالنية النابعة منه تكون كل الأعمال موافقة لشرع الله ومقبولة عنده سبحانه وإن النية النابعة من التوحيد تظل طاهرة مشرقة عاملة بالخير كابحة للشر.

هذا هو دور التوحيد، الدور العظيم في حياة ابن آدم يصحح نيته، ويلجم هواه، ويطلق إلى الخير والصلاح، هذا هو الدور العظيم للتوحيد في أول خطوة من خطوات الممارسة الإيمانية[1].

ولا شك أن الإنسان إذا أخلص في أعماله أنها مقبولة عند الله تعالى كما مر معنا أن من شروط قبول العبادة الإخلاص والمتابعة.

❊❊❊

(١) انظر التوحيد وواقعنا المعاصر ص٢٤٤ وما بعدها بتصرف.

الفصل الثاني

آثار التوحيد على الأعمال التكليفية

إن الإيمان هو الذي يكون في القلب ولابد فيه - أي الإيمان - من ثلاثة أشياء: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. قال: الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعلها من الإيمان.

ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة ولا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الحديث الصحيح **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب»**[1].

فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد.

(١) أخرجه البخاري في ك الإيمان باب ٣٩ ح رقم ٥٢ ج١ ص١٢٦.

فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبا لله من المشركين لأندادهم[2].

* **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق[3].

* **وقال أيضًا:** وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق العامة لا يكون تركها محموداً في حال أحد وإن ارتقى مقامه[4].

* **وقال أيضًا:** فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحًا بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه[5].

* **وقال أيضًا:** ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ما تزكو به النفس وكان

(١) [سورة البقرة، الآية: ١٦٥]
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ج٧ ص١٨٦ - ١٨٨ بتصرف يسير.
(٣) الفتاوى ج١٠ ص١١.
(٤) الفتاوى ج١٠ ص١٦.
(٥) الفتاوى ج١٠ ص٤٨.

الشرك أعظم ما يدسيها وتتزكى بالأعمال الصالحة والصدقة هذا كله مما ذكره السلف[١].

والإخلاص أهم أعمال القلوب المندرجة في تعريف الإيمان وأعظمها قدراً وشأناً بل إن أعمال القلوب - عموماً - أكد وأهم من أعمال الجوارح.

* **يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأعمال القلبية:** وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين[٢].

* **ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عظم أعمال القلوب:** أعمال القلوب هي الأصل وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإن النية بمنزلة الروح والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح[٣].

* **وقال أيضاً:** ومن تأمل الشريعة في مصادرها وموادها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمال التي ميزت بينها؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت[٤].

---

(١) الفتاوى ج١٠ ص٦٣٢.
(٢) الفتاوى ج١٠ ص٥.
(٣) بدائع الفوائد ج٣ ص٢٢٤.
(٤) بدائع الفوائد ج٣ ص٣٣٠.

ومما ينبغي التذكير به في هذا الموضع هو أن الإخلاص إذا تمكن من طاعة ما فكانت هذه الطاعة خالصة لوجه الله، فإننا نشاهد أن الله تعالى يجزي الجزاء الكبير والعطاء العظيم لهؤلاء المخلصين وإن كانت الطاعة في ظاهرها يسيرة أو قليلة.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الشأن: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة .. فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم يقولون التوحيد ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة. ثم ذكر ابن تيمية: حديث البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها، والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له، ثم قال: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص[1].

❋❋❋

(١) منهاج السنة النبوية ج٦ ص٢١٨ - ٢٢١ بتصرف.

وختاماً أذكر آثار التوحيد على الأعمال وفضله كما ذكرها الشيخ عبد الرحمن السعدي وهي باختصار:

١ – أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

٢ – مغفرة الذنوب وتكفيرها.

٣ – أنه السبب الأعظم لتفريج الكربات كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتها.

٤ – أنه يمنع الخلود في النار.

٥ – أنه يحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦ – أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه.

٧ – أن جميع الأقوال والأعمال متوقفة في قبولها على التوحيد.

٨ – أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات.

٩ – أنه إذا كمل في القلب حب الله لصاحبه زين له الإيمان وكره إليه الكفر.

١٠ – أنه يخفف على العبد المكاره ويهون عليه الآلام.

١١ – أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم.

١٢ – أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب فإنه يصير القليل من عمله كثيراً.

١٣ – أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر.

١٤ – أن الله يدفع عن الموحدين شرور الدنيا والآخرة ويمن عليهم بالحياة الطيبة[١].

❋❋❋

(١) كتاب التوحيد ومعه كتاب القول السديد للسعدي ص ١٦ – ١٩.

الفصل الثالث

من المؤثرات على الأعمال التكليفية

إن المؤثرات على الأعمال كثيرة جداً يصعب الإلمام بها في هذه الرسالة المختصرة، ولكن نشير إلى بعضها خصوصاً أهمها فمن ذلك: الإشراك بالله - تعالى - بسائر أنواعه فإن الشرك أعظم ذنب عصي الله به فيجب الحذر منه واجتنابه فإن الأولياء من عباد الله كانوا يخافونه على أنفسهم فقد قال الله - تعالى - عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مخاطباً صحابته: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ...**».

والشرك إذا خالط العبادة أفسدها فعلى المسلم الحذر منه ومن سائر الذنوب والمعاصي التي تنافي التوحيد بالكلية أو تنافي كماله الواجب أو تنقص ثوابه ومن المؤثرات على الأعمال التكليفية أيضا: البدعة والهوى والتقليد الأعمى.

أ) البدعة:

قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أصل هذه الكلمة من الاختراع وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذي ولا ألف مثله ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]. أي لم أكن أول

(١) [سورة إبراهيم، الآية: ٣٥]

(٢) [سورة البقرة، الآية: ١١٧]

(٣) [سورة الأحقاف، الآية: ٩].

رسول إلى أهل الأرض وهذا الاسم يدخل فيه ما تخترعه القلوب وفيما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح)[1].

والبدعة هي زيادة في الدين لم يشرعها الله ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بريد الكفر، والبدعة شر من المعصية الكبيرة لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، بخلاف المبتدع فإنه يفعل البدعة يعتقدها ديناً يتقرب بها إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما من عام إلا تظهر فيه بدعة وتموت فيه سنة حتى تظهر البدع وتموت السنن[2].

والبدعة تباعد عن الله وتوجب غضبه وعقابه وتسبب زيغ القلوب وفسادها.

ولا شك أن مسلك المبتدع في تحليل ما يحرم وتحريم ما يحل من غير سند شرعي وفي دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا يكون إلا لله.

* **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة.

* **وقال الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]. فما لم يكن يؤمنذ ديناً لا يكون اليوم دينا[4].

(١) الحوادث والبدع ص٤٠.
(٢) الحوادث والبدع ص٤٤.
(٣) [سورة المائدة، الآية: ٣].
(٤) البدعة لسليم الهلالي ص١٦.

وفي الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

ونحن نعلم كما مر معنا أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بشرطين: الإخلاص والمتابعة فإذا ابتدع الإنسان فإن بدعته وعمله مردود عليه ولا يقيم الله له وزنـًا بل يجعله هباء منثوراً ومن أتى بالبدعة قد يكون رد أمر الله لأنه نصب نفسه مضاهيـًا لأحكم الحاكمين فشرع في الدين ما لم يأذن به الله.

ولو نظرنا إلى الآثار التي تنتج عن البدعة لوجدنا أن واحدة منها كافية في الضرر البالغ على الأعمال لأن البدع أو البدعة:

١ – سبب للهلاك لأنها تقود إلى ترك السنة.

٢ – البدعة بريد الكفر لأن المبتدع نصب نفسه مشرعـًا ولله نداً فاستدرك على أحكم الحاكمين.

٣ – أن البدعة تفتح باب الخلاف على مصراعيه وهو باب ضلالة.

٤ – أن عمل المبتدع مردود عليه كما مر في الحديث.

٥ – التوبة محجوبة عن صاحب البدعة إذا كان مُصَّراً على بدعته.

٦ – صاحب البدعة لا يزداد من الله إلا بعداً والعياذ بالله.

٧ – أن المبتدع عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة.[2]

(١) سبق تخريجه ص٥١.

(٢) هناك كتب تكلمت وأحسنت الكلام عن البدع منها كتاب أبي شامة الباعث وكتاب الطرطوشي وكتاب تنبيه أولي الأبصار للسحيمي.

ب. الهوى:

الهوى هو: محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه[١].

وعرفه الجرجاني في الاصطلاح: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[٢].

* **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه، قيل لسفيان بن عيينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟ فقال أنسيت قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[٣].

* **ثم قال:** ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ... وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة[٤].

فجميع البدع والمعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفس على ما يحبه الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها فاستكبروا ولم يقبلوا الحق والهدى والنور الذي جاءهم.

---

(١) لسان العرب ج١٥ ص٣٧١.

(٢) وجوب لزوم الجماعة ص١٨٩.

(٣) [سورة البقرة، الآية: ٩٣]

(٤) الفتاوى ج١٠ ص١٧٠.

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2].

فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز وكل معصية وهو أساس البلوى وينبوع الشر وقل أن يؤتي الإنسان إلا من قبل الهوى فالجهل سهل علاجه ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها[3].

وكما جاء ذم الهوى في القرآن الكريم أيضاً في السنة المطهرة ففي الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**ثلاث منجيات: وذكرها ثم قال: وثلاث مهلكات: هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه**»[4].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء**»[5].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على خطر الهوى وضرر من اتبع هواه.

قال الشيخ الغنيمان -نفع الله بنا وبه-: ومتبع الهوى لابد أن يضل سواء عن علم أو عن جهل فإنه كثيراً ما يترك العلم اتباعاً لهواه، ولابد أن يظلم إما بالقول أو بالفعل لأن هواه قد أعياه ولهذا حذر السلف من مجالسة من هذه صفته، كما قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في

(١) [سورة البقرة، الآية: ٨٧]

(٢) [سورة القصص، الآية: ٥٠]

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٨١٩.

(٤) صححه الألباني - السلسلة الصحيحة ج٤ ح رقم ١٨٠٢.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح رقم١٤ ج١ ص١٢ وقال الألباني إسناده صحيح.

ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون[١].

فاتباع الهوى هو أصل الضلال والكفر ومعلوم أن ذلك يتفاوت تفاوتاً عظيماً فمن اتباع الهوى ما يوصل إلى ما ذكر ومنه ما هو أقل من ذلك وكل من خالف الحق لا يخرج عن اتباعه للهوى أو الاعتماد على الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً[٢].

ج - التقليد الأعمى:

التقليد هو قبول قول القائل من غير معرفة لدليله وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم[٣].

والتقليد في أصول الدين والتوحيد لا يجوز بل يجب فهم الدين كما جاءت به الرسل على وجهه الصحيح الملهب للضمائر والدافع لجميع القوى والجوارح إلى الأمام في سبيل الله أما في فروع الدين فيجوز تقليد أي مذهب من المذاهب السنية ولو لم يلتزم مذهباً معيناً بشرط أن لا يتتبع الرخص[٤].

وقال محمد صديق حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتقليد الرجال واتباع القيل والقال ضلال وجهل ووبال، ولا يجوز لأحد أن يقلد أحداً في شيء حتى يوافق قوله قول الرسول المعصوم عن الخطأ.

فيكون اتباعه له في الحقيقة اتباع الدليل لا تقليد ذلك الإمام الجليل[٥].

---

(١) الهوى ص ٨.
(٢) الهوى للغنيمان ص١٣.
(٣) أعلام الموقعين ج١ ص٤٥.
(٤) الأجوبة المفيدة للشيخ الدوسري ص٧٣.
(٥) الدين الخالص ج٣ ص٥١.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان مستنًا - أي يريد السلوك على الصراط السوي وسواء السبيل والطريق القويم والهدي المستقيم - فليستن بمن قد مات - أي يقتدي بالذين ماتوا على الإسلام والعلم والعمل فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»[1].

وقال أيضًا: ومن زعم من أسراء التقليد وعبيد الآراء أن القرآن والحديث لا يكفيان لذلك وأن الحاجة ماسة إلى الفقه المصطلح عليه اليوم من المقلدة ومن شابههم فقد أساء الظن بالله وبكتابه وبالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبسنته وآية إكمال الدين تدفعه وترد عليه[2].

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكل ما يطلب فيه الجزم ... فمنع تقليد بذاك حكم
لأنه لا يكتفي بالظن ... لذى الحجي في قول أهل الفن

وقال: قال علماؤنا وغيرهم: يحرم التقليد في معرفة الله وفي التوحيد والرسالة وكذا في أركان الإسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر[3].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحم الله الجميع-: والشيخ تقي الدين وتلميذه - رحمهما الله تعالى - بل وغيرهما إنما يحرمون التقليد في توحيد الله ورسالة النبي، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما علم كونه من الدين ضرورة كأركان الإسلام ويدعيان الإجماع وعبارتها: التقليد السائغ في

(١) الدين الخالص ج٣ ص٦١.
(٢) الدين الخالص ج٤ ص١٥٤.
(٣) لوامع الأنوار البهية ج١ ص٢٦٧ وله كلام طويل عن التقليد من ص٢٦٧ إلى ص٢٧٥.

المسائل المستفتى فيها وهي الاجتهادية، وأما العقلية كوجود الباري - تعالى - وتوحيده والرسالة فلا تقليد فيها[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكل من يخالف الرسل هو مقلد متبع لمن لا يجوز له اتباعه وكذلك من اتبع الرسول بغير بصيرة ولا تبين وهو الذي يسلم بظاهره من غير أن يدخل الإيمان إلى قلبه[2] وقد جاء في ذم التقليد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[3].

فالتقليد الأعمى والتعصب يؤديان إلى مهاوي الردى ويقودان صاحبها إلى مسالك الغواية والضلال ويصدان عن اتباع النور والهدى فتكون النتيجة تخبطًا وانتكاسًا في الدنيا وهلاكًا وخسرانًا في الآخرة.

❊❊❊

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق ص٥٤.

(٢) الفتاوى ج٤ ص٢٠٠.

(٣) [سورة المائدة، الآية: ١٠٤]

المراجع

حسب ورودها في البحث

١. الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الطبعة الأولي ١٤١١ هـ.

٢. لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣. حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

٤. مجموع الفتاوى لأحمد بن تيمية، مؤسسة قرطبة بمصر.

٥. التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز الرشيد، دار الرشيد بالرياض.

٦. دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي ١٤٠٦ هـ.

٧. مجموع فتاوى لمحمد الصالح العثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولي ١٤١٠ هـ.

٨. درء تعارض العقل والنقل لأحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ.

٩. مجموعة الرسائل النجدية، إشراف عبد السلام آل عبد الكريم، دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.

١٠. أصول الدين الإسلامي، محمد سليمان التميمي، طبعة الجامعة الإسلامية، الطبعة التالية.

١١. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

١٢. التدمرية لأحمد بن تيمية، تحقيق محمد السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

١٣. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٤. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ.

١٥. لوامع الأنوار البهية لمحمد السفاريني، مكتبة الخافقين، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ هـ الطبعة الأولي.

١٧. عقيدة المسلمين لصالح البليهي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ

١٨. سؤال وجواب في أهم المهمات لعبد الرحمن السعدي، دار العاصمة، الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ.

١٩. مجموع فتاري ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن باز، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ.

٢٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ حكمي، دار ابن القيم الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٢١. الدرر السنية، جميع عبد الرحمن القاسمي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.

٢٢. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تعليق ابن باز، دار المعرفة.

٢٣. حكم الانتماء لبكر أبو زيد، دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.

٢٤. الدين الخالص السيد محمد صديق خان، دار التراث بمصر.

٢٥. الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزية، تحقيق على الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٢٦. صحيح مسلم بشرح النووي مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ.

٢٧. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لعبيد الله بن بطة، تحقيق رضا بن نعسان، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

٢٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي، تحقيق أحمد الحمدان، ط دار طيبة بالرياض.

٢٩. صحيح ابن حبان، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية.

٣٠. كتاب التوحيد لأبي بكر محمد بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز الشهران، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.

٣١. المصباح المنير لأحمد الفيومي، المكتبة العلمية.

٣٢. تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ.

٣٣. أعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي، دار النور، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٣٤. رسالة مهمة لعبد العزيز بن محمد بن مسعود، دار الوطن، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ.

٣٥. أول واجب على المكلف، عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٣٦. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن الدوسري، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.

٣٧. التفسير القيم لابن القيم، تحقيق محمد الفقي، دار الكتب العلمية.

٣٨. وجوب لزوم الجماعية، جمال بن بشير بادي، دار الوطن، الطبعة الأولي ١٤١٢ هـ.

٣٩. التوحيد وواقعنا المعاصر، لعدنان النحوي، دار النحوي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

٤٠. منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٤١. الحوادث والبدع لمحمد الطرطوشي، ضبط علي حسين عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولي ١٤١١ هـ.

٤٢. البدعة لسليم الهلالي، دار الهجرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ

٤٣. الهوى لعبد الله الغنيمان، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٤٤. أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، تعليق طه عبد الرؤوف، دار الجيل.

٤٥. التوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان بن عبد الله، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

❊❊❊

الفهرس

- المقدمة ٥
- الباب الأول: في معنى التوحيد لغة وشرعًا وأنواعه وبيان أنه أول واجب على المكلفين ٧
  - » الفصل الأول: تعريف التوحيد لغة وشرعاً ٨
  - » الفصل الثاني: أنواع التوحيد ١١
  - » الفصل الثالث: أهمية التوحيد وبيان أنه أول واجب على المكلف ١٣
- الباب الثاني: في نصوص الكتاب والسنة وأثار السلف الدالة على أهمية التوحيد ١٧
  - » الفصل الأول: نصوص القرآن في تعظيم التوحيد وبيان مكانته ١٨
  - » الفصل الثاني: نصوص السنة في تعظيم التوحيد وبيان مكانته ٢١
  - » الفصل الثالث: الآثار عن السلف في تعظيم التوحيد ٢٥
- الباب الثالث: في معنى العبودية وشروطها واقسامها ٣٠
  - » الفصل الأول: معنى العبادة لغة وشرعا ٣١
  - » الفصل الثاني: شروط العبادة من الكتاب والسنة ٣٤
  - » الفصل الثالث: في أقسام العبادات ٣٧
- الباب الرابع: في علاقة التوحيد بالعبادة وأثره عليها ٤٢
  - » الفصل الأول: دور الاخلاص في تصحيح العبادة وقبولها عند الله ٤٣
  - » الفصل الثاني: آثار التوحيد على الأعمال التكليفية ٤٧
  - » الفصل الثالث: من المؤثرات على الأعمال التكليفية ٥٢
- المراجع ٦٠

❋❋❋